الدرس الرابع عشر: أركان الإسلام الخمسة وأركان الإيمان الستة ودرجة الإحسان

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع حديث جبريل عليه السلام حين قدم على رسول الله ومعه أصحابه في صورة أدمي، من حديث أبي ذر ☺ الذي رواه النسائي الذي قال فيه: كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يَجْلِسُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَصْحَابِهِ فَيَجِيءُ الْغَرِيبُ فَلاَ يَدْرِي أَيُّهُمْ هُوَ حَتَّى يَسْأَلَ، فَطَلَبْنَا إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم أَنْ نَجْعَلَ لَهُ مَجْلِسًا يَعْرِفُهُ الْغَرِيبُ إِذَا أَتَاهُ، فَبَنَيْنَا لَهُ دُكَّانًا مِنْ طِينٍ كَانَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ، وَإِنَّا لَجُلُوسٌ وَرَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فِي مَجْلِسِهِ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ أَحْسَنُ النَّاسِ وَجْهًا وَأَطْيَبُ النَّاسِ رِيحًا كَأَنَّ ثِيَابَهُ لَمْ يَمَسَّهَا دَنَسٌ حَتَّى سَلَّمَ فِي طَرَفِ الْبِسَاطِ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ..[1]، وأما حديث عمر بن الخطاب ☺ الذي رواه مسلم فلفظه: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ:**"يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنْ الإسلام** - فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**"الإسلام أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا** -، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ:**"فَأَخْبِرْنِي عَنْ الإيمان** - قَالَ:**"أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ** -، قَالَ: صَدَقْتَ،

(1) (صحيح) أخرجه (ن) 4991 وصححه الألباني.

قَالَ:"فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِحْسَانِ - قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ -، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ - قَالَ:"مَا الْمَسؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ -، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ:"أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ - قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي:"يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:"فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ -[1].

إخوتي في الله، من هذا الحديث يتبين لنا أن أركان الإسلام خمسة: أولها شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقامة الصلاة أي الصلوات الخمس، وإيتاء الزكاة أي عند بلوغ نصاب الزكاة، وصوم رمضان وذلك لمن قدر على الصيام ولم يكن عنده عذر شرعي يمنعه من الصيام، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إلى ذلك سبيلا، أما أركان الإيمان فهي ستة وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه مثل التوراة والإنجيل والقرآن، ورسله واليوم الآخر وما فيه من غيبيات والقدر خيره وشره.

والإسلام مرحلة تسبق الإيمان فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً والدليل قول الله تعالى:{قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [الحجرات:14]، والإيمان عند أهل السنة والجماعة قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان، ومن أهم صفات المؤمنين الإيمان بالغيب فوصف الله تعالى بها عباده المتقين في سورة البقرة قال تعالى:{الم(1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ(2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ(3)} [البقرة:3].

ويتحول الغيب إلى مشاهد إذا عاين العبد الحق وحضر الموت فقال: إني تبت الآن فليس لهذا الإنسان توبة أبداً، إذ أنه الآن لم يعد مؤمناً بعالم الغيب، بل أصبح مؤمناً بعالم الشهادة؛ لأنه يرى الملائكة عياناً أمامه، إذاً: ما الفرق بينه وبين الكفار الذين طلبوا أن يروا ربهم، أو يروا

(1) (صحيح) أخرجه (م) 9.

الملائكة؟!

قال تعالى:{يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً} [الأنعام:158].

والنتيجة الطبيعية لعدم الإيمان بالغيب عدم رؤية الأشياء على حقيقتها، فيعيش الإنسان في شك وحيرة وشتات للقلب، يلهث ويجري ويكدح في هذه الحياة، ولكن من غير هدف، ومن غير راحة، ومن غير اطمئنان على الإطلاق؛ فسبحان الله! هل يطمئنون وهم لا يؤمنون بالآخرة؟ يقول الله تعالى:{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)} [طه:124].

ولذلك يصف الله تعالى المؤمنين بأنهم يؤمنون بما جاء به الله ورسوله من غيبيات قال تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (15)} [الحجرات: 15]، وهناك صفات كثيرة للمؤمنين نذكر منها ما جاء في سورة المؤمنون قال تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ(1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ(4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ(6) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(11)} [المؤمنون: 1 - 11].

وأخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه من آمن بالله ربّاً وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولاً، وأقام أركان الإسلام: الصلاة والزكاة أدخله الله الجنة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ☺ : عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:"مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا - قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نُنَبِّئُ النَّاسَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى

الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ[1].

وفي حديث جبريل عليه السلام عرَّف رسول الله صلى الله عليه وسلم درجة الإحسان وهي درجة أعلى من درجة الإيمان فَمَن عَبَدَ الله وكأنه يرى الله تعالى فقد بلغ مرتبة الإحسان. وهذه المراقبة لاتكون بالدعوى والكلام بل هي في قلب المرء، ومن راقب الله في سره هداه الله إلى الأعمال الصالحة، فمراقبة النفس ما هي إلاّ مجاهدتها أن ترتكب ما لا يرضاه الله تعالى قال الله تعالى: **{والذينَ جاهَدوا فينا لنَهدِيَنَّهُم سُبُلَنا وإنّ الله لَمَعَ المُحسِنينَ}** [العنكبوت:69]

ولقد ضرب الصحابة الكرام المثل الأعلى في مراقبة لله تعالى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد ورد عَنْ أَنَسٍ ☺ قَالَ: إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنْ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنْ الْمُوبِقَاتِ، قَالَ أَبُو عَبْد الله يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُهْلِكَاتِ[2].

ذلكم هو الفرق بين جيل الصحابة وتابعيهم وبين ما أعقبهم من أجيال: فلقد عبدوا الله تعالى بإخلاصهم ومراقبتهم لله تعالى قبل أن تتحرك جوارحهم بالعبادة، فأكرمهم الله تعالى بالهداية والتسديد في هذه الحياة الدنيا، ولأجر الآخرة أكبر، فمراقبة الله تعالى ما هي إلاّ مجاهدة النفس أن ترتكب ما لا يرضاه الله تعالى.

وكذا بَيَّنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلام شيئا يسيرا من أشراط الساعة وهي علامات اقتراب وقوع الساعة، منها أن تلد الأمة ربتها وقد حصل هذا لما كثرت الفتوح صار الرجل يأخذ إماء كثيرة ويصير له عشر أو عشرون من الإماء، فيطأ هذه ويطأ هذه، فكل واحدة تنجب فيصبح الأولاد أسيادا على الأمهات لكثرة الرقيق، أما المراد أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان أي أن أسافل الناس يصيرون رؤساءهم، وتكثر أموالهم، حتى يتباهوا

(1) (صحيح) أخرجه (خ) 6987.
(2) (صحيح) أخرجه (خ) 6127.

بطول البنيان وإتقانه، والله أعلم.

ولمعرفة المزيد من أشراط الساعة الصغرى وكذلك أشراط الساعة الكبرى يمكن الرجوع لكتاب (زاد المسلم اليومي من العلم الشرعي).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *